عقيدة بنوة المسيح في الخطاب القرآني عند الفخر الرازي

الدكتور سيكو مارافا توري
الأستاذ المساعد في قسم الدعوة
جامعة المدينة العالمية

ملخص البحث:

تسعى هذه الورقة إلى دراسة عقيدةٍ هي من لب العقائد النصرانية وجوهرها، ألا وهي عقيدة بنوة المسيح، وذلك –أولًا– بدراسة ما أفاده الخطاب القرآني في هذا الشأن بيانًا، وثانيا: بتحليل المراد من النص القرآني؛ بتتبع آراء وجهود الإمام فخر الدين الرازي في ذلك، حيث إنه متكلم **عالم بالأديان** إضافة إلى ما اشتهر به من كونه أصوليًّا وفيلسوفًا، وثالثة الأثافي في هذا البحث هي بيان أدلتهم، وحججهم الجدلية في اعتناق هذه العقيدة، ومن ثم الوقوف على موقف فرق النصارى فيما أورد القرآن من بيان، كما وإن البحث ليسعى إلى تنزيل عنصر الموضوعية في حكاية القرآن وبيانه عقيدة البنوة عند النصارى، ويحاول البحث تتبع رأي الرازي في مصدر هذه العقيدة في الديانة النصرانية، وموقف العلم الحديث مما ذكر الرازي، أخيرًا حرص البحث على بيان موقف القرآن من عقيدة بنوة المسيح.

ومن نتائج البحث اهتمام القرآن بدراسة دين الآخر، والحرص على الموضوعية والإنصاف، وتوصل البحث إلى أن للإمام الرازي دور كبير في تجلية المراد من النص القرآني؛ ومن ثم تنزيله على واقع فرق النصارى بمنهج علمي وموضوعية.

الكلمات المفتاحية: عقيدة بنوة المسيح، البنوة، (ابن الله، كلمة الله وروحه)، النصرانية، الخطاب القرآني، الموضوعية، جهود علماء المسلمين في دراسة الأديان، فخر الدين الرازي، دور بولس في النصرانية.

المبحث الأول: المقدمات المنهجية

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علمًا يا رب العالمين، وبعد:

يجد المتتبع أن القرآن الكريم أورد في آية واحدة بالتصريح أن النصارى يدينون بأن المسيح ابن الله، وهو ما عرف مؤخرا بعقيدة البنوة -أي كون عيسى ابنًا للإله-، وانتشر ذلك في العالم الإسلامي قبل العالم المسيحي، ولا يكاد يجري حوار بين المسلم والمسيحي أو النصراني دون التطرق لهذا الحديث، والسؤال الذي يطرح نفسه: يا ترى! ما المراد بأن النصارى يقولون: إن عيسى ابن الله؟ وما دليلهم في عقيدتهم هذه؟ وهل فعلًا النصارى يقولون ذلك؟ وما مدى مصداقية النص القرآني في هذا؟

يضاق إلى هذا أن الإمام الرازي قد عرف مفسرًا وفيلسوفًا وعالم كلام (أصول الدين، والعقائد فحسب) في الغالب؛ بينما يجد المتتبع لكتاباته ومصنفاته أن له باع طويل في الوقوف على الأديان، وللأسف لم يعرف بأنه عالم من علماء المسلمين في دراسة الأديان بمناهج متنوعة، ومن هنا رأى الباحث محاولة دراسة آرائه في النصرانية عموما؛ وفي عقيدة من أهم عقائد النصارى: ألا وهي عقيدة بنوة المسيح، فهل للإمام الرازي دورٌ يُدلى في هذه المسألة؟ وكيف وقف على بيان الأمر؟ هذا ما سيحاول البحث الوقوف عليه في صفحاتها القادمة.

إشكالية البحث:

ترمي الأديان جميعها إلى إيجاد إنسان قويم، ومجتمع مثالي، لكون الدين والتدين فطرة إنسانية، وطريقة الإنسان في تهذيب نفسه وتربية أولاده، يجد المتتبع أن الحضارة القائمة تقلص من دور الدين وتهمشه، وإن كانت لا تستطيع إقصاءه، ويجد المدقق أنه يراد

بالأيديولوجيات أن تحل محل الدين، في ظل المواقف المتعددة تجاه الدين وطبيعته يلاحظ أنواعا من الصراعات؛ صراعات بين الأديان والإلحاد، وبين الأديان بعضهما مع بعض، وبين داخل الدين الواحد. فهل يمكن لدين آخر أن يبين معتقد دين مغاير، وهو يراه دينا خاطئا؟ وكيف يكون معيار ذلك البيان. وهنا تكمن مشكلة هذا البحث.

أسئلة البحث:

يمكن حصر مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

١- هل تطرق القرآن الكريم إلى بيان عقيدة البنوة عند النصارى؟

٢- وكيف فهم فخر الدين الرازي النص القرآني الدال على هذه العقيدة في القرآن الكريم؟

٣- وكيف تلقى النصارى هذا البيان؟

٤- وهل يمكن أن يعد الوصف القرآني لهذه العقيدة موضوعيا، وبالتالي يعد القرآن الكريم مصدرا من مصادر دراسة النصرانية؟

أهداف البحث:

يمكن حصر مشكلة البحث في التساؤلات التالية:

١- بيان عقيدة البنوة عند النصارى في القرآن الكريم.

٢- دراسة فهم فخر الدين الرازي النص القرآني الدال على هذه العقيدة في القرآن الكريم.

٣- بيان موقف النصارى من هذا البيان.

٤- تحليل الوصف القرآني لهذه العقيدة من خلال عنصر الموضوعية موقف أتباع الدين نفسه.

حدود البحث:

يجدر بالذكر أن القرآن الكريم تحدث عن النصارى وعن النصرانية من زوايا متعددة،[1] فتحدث عن أسمائهم وألقابهم المتعددة، وتحدث عن صفاتهم وأخلاقهم،[2] وتحدث عن نبيهم أو مؤسس النصرانية كما يحلوا لعلماء مقارنة الأديان؛ فبين أسماءه وألقابه، ورسالته، ومعجزاته، ومهمته، وتحدث عن **العقائد النصرانية**؛ عقيدة ألوهية عيسى،[3] وعقيدة التثليث، وعقيدة الصلب والفداء، وعقيدة ألوهية مريم، ومنها **عقيدة بنوة المسيح**. والبحث هنا سيدرس فقط الآية الوحيدة التي بين إيمان النصارى بهذه العقيدة، دون التطرق إلى الآيات التي تفيد التثليث أو تبين ألوهية المسيح. وذلك أن البنوة وجه من وجوه شرح وتفسير هذه الآيات عند النصارى والمسلمين؛ ودون اتفاق، بل إن ذلك سبب من أسباب تعدد الفرق النصرانية. وعليه؛ فإن حدود هذا البحث الوقوف على:

١- الآية التي ذكرت صراحة أن النصارى يؤمنون بأن عيسى ابن الله.

٢- ودراسة بيان ذلك وموقف الرازي من ذلك.[4]

ومن هنا خرجت عن الدراسة:

١- العقائد النصرانية الأخرى، كما أن الدراسة لن تعتبر آيات "كلمة الله" "كلمته"

---

١ للتوسع انظر: سيكو مارافا توري، **النصرانية في الخطاب القرآني**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧.

٢ للتوسع انظر: توري، والعرفي، **صفات النصارى في الخطاب القرآني: دراسة موضوعية تحليلية**، مجلة جامعة المدينة العالمية بماليزيا (مجمع)، العدد ٩، ٢٠١٤.

٣ للتوسع انظر: توري، **عقيدة أهل الكتاب "النصارى" في ألوهية عيسى في الخطاب القرآني**، مجلة بحوث إسلامية واجتماعية متقدمة، العدد الأول، أكتوبر ٢٠١١.

٤ لعله يجدر بالذكر أن البحث سيركز على موقف الرازي وتفاعله مع هذه العقيدة وردات فعلها، دون التطرق إلى منهجه عامة في بيان ذلك مع الإقرار بأهميته. والسبب هو أن ذلك بحث آخر مستقل بذاته؛ وهو مكون من جزأين مهمين، الجزء الثاني في قيد النشر في مجلة أخرى، بعنوان **منهج الإمام الرازي في دراسة النصرانية**. علما أنه قد تم نشر الجزء الأول منذ ثلاث أعوام. وهو: منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية، انظر: الحاج، وتوري، **منهج الخطاب القرآني في الحديث عن النصرانية وآثاره**، مجلة الإسلام في آسيا، العدد الرابع، ديسمبر ٢٠١١.

"وروحه" "كن" دليلا صريحا على عقيدة البنوة، وذلك لأنها وردت في مواضيع أخرى، وغير صريحة، ورغم ذلك سيقف الباحث عندها عند مناقشة أدلة النصارى.

٢- كما خرجت مواقف علماء آخرين في بيان هذه العقيدة. فلا يرد وما ذا قال الزمخشري، أو ابن تيمية، أو الشهرستاني أو ابن حزم في هذه العقيدة؟

منهج البحث:

نظرا بأن البحث يدور حول عقيدة البنوة عند النصارى في الخطاب القرآني، كان لابد من سلوك **المنهج الاستقرائي** في تتبع جزئيات الموضوع من القرآن الكريم أولا. ويتطلب البحث التعرض **للمنهج التحليلي**، في حسن تنزيل هذه الآيات على مظانها. علاوة على أنه لا غنى للبحث من المنهج الوصفي؛ وذلك في بيان قضايا البحث، وبيان رأي الرازي في ذلك.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة، فلعله يمكننا أن نعد هذه الورقة مساهمة وجديدة من نوعها، وذلك أن الدراسات السابقة لهذا الموضوع لم يعالج ما البحث بصدده، وإنما انصب معظمها على قضايا أخرى. من هذه الدراسات السابقة رسالة بحث بعنوان: النصرانية في القرآن الكريم، لمؤلفه محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. وكتاب Jesus in the Qur'an (**عيسى في القرآن**) لمؤلفه Geoffrey Parrinder (جيوفري بارندر)، وهو باللغة الإنكليزية، وكتاب: The Moslem Christ (**المسيح المسلم**)، كتاب قديم، فقد أُلف في ١٩١٢، وباللغة الإنكليزية، ألفه المستشرق Samuel Zwemer (صموئيل زويمر)، وكتاب النصرانية بين نبأ القرآن المجيد وخبر العهد الجديد تاريخا وعقيدة، لمؤلفه جمال سعد محمود، وكتاب Jesus a prophet of Islam (عيسى نبي الإسلام)، لمؤلف محمد عطاء الرحيم. فهذه الكتب وإن كانت تتناول النصرانية وتتكلم عن عيسى عليه السلام كما جاء في القرآن؛ إلا أنها عنيت بقضايا العقيدة بيانًا وردًا، ولم تهتم بقضايا أخرى لها صلة بالنصرانية وتحدث عنها القرآن، ومن هذه القضايا عقائد النصارى عامة في القرآن، وسيركز هذا البحث على عقيدة البنوة.

المبحث الثاني: عقيدة بنوة المسيح

تمهيد:

أورد الخطاب القرآني في آية واحدة بالتصريح أن النصارى يدينون بأن المسيح ابن الله، ما عرف مؤخرا بعقيدة البنوة -أي كون عيسى ابنا للإله-، فأصبح علما شائعا في العالم الإسلامي، وذهب المسلمون يعممون في الأرجاء أن النصارى يؤمنون بالبنوة. والسؤال الذي يطرح نفسه يا ترى! ما المراد بأن النصارى يقولون: إن عيسى ابن الله؟ وما دليلهم في عقيدتهم هذه؟ وهل فعلًا النصارى يقولون ذلك؟ وما مدى مصداقية النص القرآني في هذا؟ سؤال يفرضه البحث العلمي على الباحث؟

نجد للإمام الرازي آراء رائعة حول هذه التساؤلات، سنقف عليها في المحاور التالية:

المطلب الأول: المراد من النص القرآني: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠]

يبدو أن الآية واضحة من الوهلة الأولى، فالنصارى يقولون إن عيسى ابن الله، لكن أي نوع من البنوة؟ أهي ولادة بشرية أو ولادة تشريفية؟ يفهم الكثيرون المعنى الخطأ الغير المراد، وهو الأول: ولادة بشرية، يعني أن يكون عيسى ابن الله حقيقة، وهذا لا ولم يقل به أحد من النصارى. فالمراد من الآية هو أن النصارى يقولون: إن عيسى ابن الله تشريفًا![1]

جاء في مناظرة الرازي مع النصراني ما يبين صحة هذا الكلام، فقد قال العالم النصراني في بيان ذلك: "وأما مؤاخذتنا في أن المسيح ابن الله، فهذا لسنا نعتقده حقيقة، بل على سبيل التفخيم والتعظيم، كما تقولون: إبراهيم خليل الله مع أنه يتعالى عن الخلة،

---

١ Parrinder, Geoffrey, Jesus in the Qur'an (London: Western Printing Services Limited Bristol, first published, 1965). p. 128.

وتقولون: محمد حبيب الله مع أنه يتعالى عن المحبة التي هي عبارة عن الميل والحظ والشهوة، وإنما تذكرون ذلك في معرض التعظيم والتفخيم، فكذلك ما نحن فيه مما تقوله النصارى في عيسى، لا أنه ابن حقيقة، وأنه لا يبعد أن يشرف الله عبدًا من العبيد على سائر خلقه فيكون محله في الشرف والقرب محل الولد من الوالد، لا أن يكون ولدًا على الحقيقة، ولا ولدًا في نفس الأمر، فهذا معنى ما تقوله بعض النصارى في عيسى إنه ابن الله كما تقولون كلكم في إبراهيم خليل الله، وفي محمد إنه حبيب الله مع تعاليه تعالى عن الخلة والمحبة."[١] هل قلت لنفسك: إذا كان هذا هو المراد فهل من مشكلة في الإسلام مع هذه العقيدة؟!

يبين جيوفيري أن الخلاف بسيط في التوحيد بين الإسلام والنصرانية، فكلاهما يؤمنان بالتوحيد، ويرى أن كون عيسى ابن الله لا ينافي التوحيد، فهو ليس ولادة بشرية بل تشريفية، وهذا موجود عند المسلمين حسب تعبيره، وأضاف بأن القرآن شن هجوما على الشرك وعبادة الأوثان، وهذا ما يقصد به في الآيات التي توحي إلى اتخاذ إله في سياق الحديث عن بنوة المسيح.[٢]

وقد عبر القرآن بأنهم يقولون الكلام بأفواههم: ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ وهو تحصيل حاصل؛ والسبب هو أن هذا الكلام مناف للمنطق والعقل، ورغم هذا فهم يصرحون به ويدعون إليه. كما أن قولهم هذا قول قديم في تاريخ البشرية فليسوا أول من قال بنوعيته، يفهم هذه من ﴿ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].[٣]

المطلب الثاني: ما دليلهم على هذه العقيدة؟:

١ أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، تحقيق عبد المجيد النجار (بيروت: دار العرب الإسلامي، ١٩٨٦). ص٣٩.

٢ Parrinder, Jesus in the Qur'an, p. 126 onward.

٣ الرازي، محمد فخر الدين، **مفاتيح الغيب** (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨١). ج١٦، ص٢٧-٢٨.

لا يدين أحد من الناس إلا من وراء دليل يراه، صح الدليل أم بطل، فما الدليل الذي جعل النصارى يدينون بهذا؟ للجواب على هذا نجد أن الإمام الرازي أورد على لسانهم عدة أدلة، من هذه الأدلة ما يلي:

١. **هو ابن الله لأنه ولد من غير أب!** نجد الدليل على هذا الكلام في قصة وفد نصارى نجران إلى الرسول صلى الله عليه وسلم التي ساقها الرازي بطولها في **مفاتيح الغيب**، فقد ذكر مما ذكر في القصة أن الأمير والسيد والحبر وهم يمثلون القوم، تكلموا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على اختلاف من أديانهم، فتارة يقولون: عيسى هو الله، وتارة **يقولون: هو ابن الله**، وتارة يقولون: ثالث ثلاثة، ويحتجون لقولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص ويبرئ الأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير، **ويحتجون في قولهم: إنه ولد الله بأنه لم يكن له أب يعلم**، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم): أسلموا، فقالوا: قد أسلمنا، فقال (صلى الله عليه وسلم): كذبتم؛ كيف يصح إسلامكم **وأنتم تثبتون لله ولداً** وتعبدون الصليب وتأكلون الخنزير؟! قالوا: **فمن أبوه؟!** فسكت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأنزل الله تعالى في ذلك أول سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها"[1]؛ الغرض الأساسي من القصة هو أن النصارى يؤمنون بأن عيسى ابن الله، ويستدلون بذلك على أنه ولد من غير أب يعلم، فحق أن يكون الله أباه! ويؤكدون هذا الكلام بالدليل الثاني، وهو الآتي.

٢. **قول المسلمين أنه كلمة الله وروحه!** (وهذا الدليل من قبيل المحاجة) فيحتجون بذلك (ويناظرون المسلمين) من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١] فيدل كلمتي – كلمته وروح منه – على أنه ولد الله كما قالوا! خلافا لما فهمه المسلمون أنفسهم، وفي قصة وفد نجران التي ذكرها الرازي مناظرةٌ جميلة جرت بينهم وبين النبي عليه السلام فقد جاء فيها أن النصارى

١ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص١٣٤.

قالوا للرسول (صلى الله عليه وسلم)، ألست تقول إن عيسى روح الله وكلمته؟ فهذا يدل على أنه ابن الله، فأجاب الله تعالى عنه، بأن هذا إلزام لفظي واللفظ محتمل للحقيقة والمجاز فإذا ورد اللفظ بحيث يكون ظاهره مخالفاً للدليل العقلي كان من باب المتشابهات، فوجب رده إلى التأويل، وذلك هو المراد بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧]، فظهر بما ذُكر أن قوله الْحَيُّ الْقَيُّومُ إشارة إلى ما يدل على أن المسيح ليس بإله ولا ابن له، وأما قوله إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٍ فِي الأرض وَلاَ فِي السَّمَاء فهو جواب عن الشبهة المتعلقة بالعلم، وقوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأرحام كَيْفَ يَشَاء جواب عن تمسكهم بقدرته على الإحياء والإماتة، وعن تمسكهم بأنه ما كان له أب من البشر فوجب أن يكون ابناً لله، وأما قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [آل عمران: ٧]، فهو جواب عن تمسكهم بما ورد في القرآن أن عيسى روح الله وكلمته، ومن ثم أكد الرازي ما يلي: "**من أحاط علماً بما ذكرناه ولخصناه علم أن هذا الكلام على اختصاره أكثر تحصيلاً من كل ما ذكره المتكلمون** في هذا الباب، وأنه ليس في المسألة حجة ولا شبهة ولا سؤال ولا جواب إلا وقد اشتملت هذه الآية عليه، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، و لم نذكر كلام من قبلنا من المفسرين لأنه لا حاجة إليه فمن أراد ذلك طالع الكتب."[١]

٣. **إخبار عيسى عن المغيبات دليل أنه ابن الله!** نجد أن هذا أيضا دليل على تمسكهم بهذه العقيدة، ونستدل بما حدث في زمن النبي في بيان استدلالهم، فقد بين الإمام الرازي أن وفد نجران قالوا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم): لم تعيب صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى! قال: وأي سيء قلت؟ قالوا: تقول: إنه عبد الله ورسوله! قال: إنه ليس بعارٍ أن يكون عبد الله؛ وعلق الرازي أنه لما أقام الله -سبحانه وتعالى-

١ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٧، ص١٤٣.

الحجة القاطعة على أن عيسى عبد الله، ولا يجوز أن يكون ابنًا له أشار بعده إلى حكاية شبهتهم وأجاب عنها، وذلك لأن **الشبهة التي عليها يعولون في إثبات أنه ابن الله هو أنه كان يخبر عن المغيبات**- وإن كان الكلام صحيحًا؛ فالملائكة المقربون أولى بالبنوة، وعدم الوصف بالعبودية- لأنهم مطلعون على اللوح المحفوظ وأعلى حالا منه – عيسى- في القدرة، لأن ثمانية منهم حملوا العرش على عظمته، ثم إن الملائكة مع كمال حالهم في العلوم والقدرة لن يستنكفوا عن عبودية الله، فكيف يستنكف المسيح عن عبوديته؟ بسبب هذا القدر القليل الذي كان معه من العلم والقدرة.[1]

وملخص القول: هو أن النصارى يستدلون على قولهم بأن عيسى ابن الله بأنه ولد من غير أب يعلم، وبأن القرآن نفسه يقول عنه أنه كلمة الله وروحه وأن عيسى أخبر عن المغيبات التي لا يعلمها إلا الله.

المبحث الثالث: ما مدى موضوعية (أو مصداقية) القرآن في نقله وخبره هذا عن النصارى؟ وهل فعلا يقولون بهذا؟[2]

يبدو أن القرآن أخبر عن حال طائفة من النصارى عرفوا بهذا القول في جزيرة العرب وحولها، ويدل على هذا خبر وفد نصارى نجران، وحديث جعفر مع النجاشي وسكوت اليهود والنصارى عن هذا، ولو لم يكن القرآن موضوعيًّا وصادقًا في هذا الخبر لما سكت أهل الكتاب عن هذا النقل الشنيع![3]

---

١ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١١، ص٩٤.

٢ مثل هذا السؤال مرفوض من المسلم ولا يقبل منه، بل لا ينبغي له أن يسأل عن هذا، إذ الإيمان والتصديق يخالفه؛ لكن ضرورة البحث العلمي يوجبه هنا، إذ إن كثيرا من النصارى يقولون بعدم صحة الكثير مما ذكر القرآن عن النصرانية، زويمر ومناظر الرازي أقرب نموذج حي لنا في هذا البحث، ومن هنا تسائل الباحث، على أن الجواب كفيل لبيان الأمر، فلا حرج إن شاء الله!

٣ قد يقول قائل هل السكوت دليل كاف؟ والجواب على فرض صحة أن سكوتهم ليس دليلا هو أن الكفار كانوا حريصين بكل الوسائل على تكذيب محمد وإثبات أن القرآن من عند محمد، فليس من المعقول أن يقف محمد وأصحابه ويقولوا ما هو مخالف للواقع وللتاريخ ثم يسكت عنهم الكفار بما فيهم أهل الكتاب. و لم ينكر الوفود =

وقد قرر أليستر ماكراف في كتابه هذه العقيدة، وبيَّن أن من أهم دعائم وقوام الديانة النصرانية كون عيسى ابن الله، وهو لا ينافي التوحيد كما يتصور البعض، فالله واحد هو الجوهر ومن ثم الابن والروح القدس، ومن ثم أعطى تصورين معاصرين، عمد فيهما على تطور العلم المعاصر في شرح التثليث.[١]

إذا أُدرك هذا فليعلم أن من بين ما يقوله بعض النصارى أن القرآن لم يكن موضوعيا في إشاعة هذا الخبر، فقد ذكر النصراني الذي ناظره الرازي معترضا على التعميم في النقل القرآني أنه إذا أخبر الله تعالى بأن النصارى قالوا المسيح ابن الله، لا يدل ذلك على أن الجميع قالوا ذلك القول، ولا أن ذلك صدر منهم في سائر الأزمان، فإنه ما قال: "وقال النصارى كلهم أجمعون"، كما قال في حق الملائكة: ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠]، وإنما قال: "وقالت النصارى"، أي بعض منهم وفي وقت ما. ومع ذلك فإن البعض لم يقل ذلك القول إلا بتأويل، كما تأولتم الخليل والحبيب فكذلك قالوا الابن، فأي أمر عظيم ترتب على ذلك حتى بالغتم في التشنيع على اليهود والنصارى، وناديتم عليهم على رؤوس الأشهاد بأن اليهود قالوا عزير ابن الله، ولم يقل ذلك من اليهود إلا رجل واحد، ومن النصارى إلا عاند؟ فكيف يحل لكم أن تقولوا ذلك، وأن تشهدوا به، وتشنعوا به شرقا وغربا في جميع الآفاق؟ ثم إذا امتحنتم اليهود والنصارى في ذلك بالسؤال عنه ترونهم أبعد الناس عن اعتقاده وأدناهم إلى الإنكار عنه، مع الاعتراف لله تعالى بالتوحيد والتنزيه والتقديس ونفي التشبيه، لكن الله صادق فيما أخبر به من أن

=

النصرانية – وفيهم العلماء والرهبان والقسيسون- على خبر القرآن، ولا على من ذكر ونقل الخبر. أضف إلى هذا أن نجاشي الحبشة أقر بما ذكر جعفر لينفي بذلك العكس. علاوة عن هذا الواقع يدلنا على أن النصارى يقرون بأن عيسى ابن الله. فكل هذه القرائن تضاف دليلا إلى دليل السكوت، وانظر:

.Zwemer, Samuel, The Moslem Christ (London: Morrison and Gibb, 1912), p. 117

١. McGrath, Alister E, An Introduction to Christianity (Cambridge, Blackwell, 1997). Pp. 198-199

بعضا منهم قال ذلك القول وفي وقت ما وبتأويل ما، لكنكم أنتم أوهمتم الناس أن جميع اليهود والنصارى يقولون ذلك في كل الأوقات، وأنهم يعتقدون ذلك حقيقة، وذلك منكم فيهم عين الافتراء، ومحض البهتان والزور،[1] على أن الرازي أجاب النصراني عن قوله هذا، سيفهم وجه الرد في المبحث التالي، وما بعد.

المبحث الرابع: موقف القرآن من هذه العقيدة وآراء الرازي ورده عليها

يرى القرآن الكريم أن الشرك ظلم الإنسان لنفسه ولربه: لنفسه بمخالفته صريح المنطق والعقل؛ ولربه بأن اتخذ غيره إلها وهو قد خلقه. ومن هذا القبيل أن يقال في عبد من عباده بأنه إلـــه؛ ولذلك اهتم القرآن بذكر هذه العقيدة خاصة من جملة أسلوبه في الرد على أهل الشرك كعباد الأصنام والكوكب والشمس والقمر والجن والإنس إتماما لوظيفته في إقرار التوحيد، أضف إلى هذا أن نقل القرآن لهذا الكلام على رؤوس الأشهاد ليس فيه مبالغة إذا أدركنا مكانة التوحيد في الإسلام، كما أن هذا النقل يشهد التاريخ بشهرة وجود هذا الكلام عند النصارى في وقت نزول القرآن حول جزيرة العرب وفيها، ولعله رأي الكثيرين من النصارى في حينه![2] لذا لم يتفاجئ النصارى بخبر القرآن، و لم يكن

---

١ الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص٤٠.

٢ كثرت النصرانية في نجران واليمن ومصر أكثر من غيرها في الجزيرة العربيةومن الفرق النصرانية في الجزيرة العربية قبل الإسلام الآريوسية: كانوا موحدين. والنساطرة: أصحاب الطبيعيتين، اللاهوت والناسوت.ويقولون إن عذاب الصلب وقع على الناسوت لا اللاهوت، وأن مريم لا تدعى أم الإله بل والدة اليسوع. والفرقة المونوفيسية: أصحاب الطبيعة الواحدة. يقولون باتحاد الطبيعيتين الإلهين والإنسانية، بدون اختلاط وامتزاج أو تبلل، وقد رفض المجمع الخلقيدوني ٤٥١م هذا المعتقد، فكان سبب تشكل ثلاث كنائس في الشرق: الكنيسة الملكية: أي أتباع الملك في القسطنطينية، والكنيسة اليعقوبية: نسبة إلى مار يعقوب البرادعي، وتتألف من السريان والأقباط والأحباش والأرمن، والكنيسة النسطورية: وانتشرت في الحيرة وجنوب العراق وبادية الشام وبعض مناطق الجزيرة السورية وشرق الجزيرة العربية زلدى بعض نصارى اليمن والحجاز، كما انتشرت عقيدة الطبيعة الواحدة لدى الغساسنة وفي بادية الشام، ولدى بعض القبائل العربية وفي الجزيرة السورية العليا وبعض اليمن والحجاز أيضا. انظر: العودات: حسين، **العرب النصارى** (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٩). ص٣٣. وانظر الصفحة ٨٢ من هذا البحث، فقد تكلم الباحث عن وجود النصرانية والنصارى في الجزيرة العربية.

لهم ردة فعل، لا أصدق على هذا أكثر من إقرار وفد نصارى نجران، كما أن شهادة نجاشي الحبشة خير دليل، فقد قال: "والله ما عدا عيسى ابن مريم مما قلت هذا العود."[١] ولا يمانع هذا أن النصارى فرق كثيرة، والرازي على علم بهم غير جاهل بفرقهم، فقد تكلم عنهم وبينهم. ومما ذكره الرازي في بيان طوائفهم ما عقّب به وهو يشرح وبين المقصود من آية الصف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤ ﴾ [الصف: ١٤]، فقد ذكر أن المقصود هنا في الخطاب قوم عيسى على السواء، يدخل فيه من آمن به ومن كفر به نقلا عن ابن عباس، ومن ثم شرع في الشرح فعلل ذلك بأن عيسى -عليه السلام- لما رفع إلى السماء تفرق الناس فيه إلى ثلاث فرق: فرقة قالوا كان الله فارتفع، وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه إليه، وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه إليه وهم المسلمون — منهم- واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس واجتمعت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوهم وطردوهم في الأرض فكانت الحالة هذه حتى بعث الله محمداً -صلى الله عليه وسلم- فظهرت المؤمنة على الكافرة فذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ ﴾[٢]

هذا هو موقف القرآن من تلك الحقيقة في النصرانية- الرفض المطلق، وهذا الكلام يقرره جيوفيري؛ حيث يرى أن القرآن ضد الشرك وعبادة الأوثان-،[٣] لكن لنعد قليلا إلى السؤال المطروح في المبحث الثاني بعد بيان مراد النصارى من قولهم — ابن الله -، إذ إنهم يقولون هو ابن الله للتشريف لا للحقيقة كقولنا خليل الله وحبيب الله، وأذكّر بالسؤال

١ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، **السيرة النبوية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ط، ١٩٥٥)، ج١، ص٣٣٥؛ البوطي، محمد سعيد رمضان، **فقه السيرة النبوية** (دمشق: دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٩١). ص١٣٩.ص١٣٩.

٢ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٢٩، ص٢٧٧.

٣ Parrinder, Jesus in the Qur'an, p. 128.

أيضا: هل قلت لنفسك: إذا كان هذا هو المراد فهل من مشكلة في الإسلام من هذه العقيدة؟!، نعم، فمن باب الحفاظ على التوحيد يردّ القرآن ما قد يكون طريقا إلى الشرك، كما أن هذا الكلام – تشريف وتفخيم، وقياسه بالحبيب والخليل- **فيه مغالطة كبيرة**، بينه الرازي ردا على العالم النصراني وجوابا على السؤال المطروح مسبقا، حيث قال: "وأما قولك بأن تسمية عيسى "ابن الله" كتسميتنا إبراهيم "خليل الله" ومحمد "حبيب الله"، وتشنيعنا عليكم وعلى اليهود بذلك، فالجواب عنه: أن الله تعالى أخبرنا عن اليهود بأنهم قالوا عزير ابن الله، وأخبرنا عن النصارى بأنهم قالوا المسيح ابن الله، ونحن ما زدنا ولا أنقصنا، وما قلنا كل اليهود قالوا ذلك أو في كل الأوقات، ولا كل النصارى قالوا ذلك أو في كل الأوقات، بل قلنا كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [التوبة: ٣٠]، ولم نتعرض إلى نبي آخر لا إلى الكل ولا البعض، فأخبرنا كما أخبر تعالى عنهم. ونعلم بأن الله تعالى إذا أخبر عن أن اليهود والنصارى قالوا: لا يلزم أن يكون ذلك إخبارا عن الكل ولا في كل وقت؛ **وأما حديث البنوة والخلة والمحبة: فالفرق ظاهر**، لأن الله تعالى نزه نفسه عن الوالدية والولدية بقوله: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ [الإخلاص: ٣]. ولم ينزه نفسه عن الخلة والمحبة، فإن سائر أنبيائه وأوليائه أخلاؤه وأحباؤه بمعنى التشريف والتعظيم، ولا يجوز أن يقال: إنهم أبناؤه وأولاده على معنى ذلك لالتباسه بالباطل، فإن نسبته إلى الوالدية لا يحتمل إلا الحقيقة، فإنه لا يقال: فلان ولد فلان وابنه إلا بمعنى أنه ولده حقيقة، وإنه لا يحل لذلك، بخلاف مقام الخلة والمحبة، فإنه يلزم من انفصال الولد عن دار الوالد بعد اتصاله به مع بقائه على الوالدية، ولا يلزم من انفصال الخليل والحبيب عن الخليل والحبيب بعد اتصاله به مع بقائه على الخلة والمحبة، فهذا الفرق بين جواز تسمية المقرب بخليل الله وحبيب الله، وعدم جواز تسميته بابن وولد الله."[1]

١ الرازي، **مناظرة في الرد على النصارى**، ص٤٩.

المبحث الخامس والأخير: مصدر هذه العقيدة

مصدر هذه العقيدة: إذ لا يقر بها كل الطوائف النصرانية كما لا يقرها القرآن، لبيان المصدر يرى الرازي أن بولس[١] هو من غير مسار رسالة عيسى وأدخل فيها أشياء كان عيسى عليه السلام بريئا منها، فقد قال ما مفاده حكاية عن المفسرين في قصة بولس أن أتباع عيسى عليه السلام كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود، وكان في اليهود رجل شجاع يقال له: بولس، قتل جمعاً من أصحاب عيسى ثم قال لليهود إن كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا، ونحن مغبونون إن دخلوا الجنة ودخلنا النار، وإني أحتال فأضلهم فعوقب فرسه وأظهر الندامة ما كان يصنع ووضع على رأسه التراب، وقال: نوديت من السماء ليس لك توبة إلا أن تتنصر، وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة، ومكث سنة لا يخرج وتعلم الإنجيل فصدقوه وأحبوه، ثم مضى إلى بيت المقدس، واستخلف عليهم رجلاً اسمه نسطور[٢] وعلمه أن عيسى ومريم والإله كانوا ثلاثة، وتوجه إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت، وقال: ما كان عيسى إنساناً ولا جسماً ولكنه الله، وعلم رجلاً آخر يقال له يعقوب[٣] ذلك، ثم دعا رجلاً يقال له

---

١ يذكر الأعظمي أن بولس ولد في طرسوس وتربى في أورشليم وأن اسمه الأصلي شارل، وبين أنه كان من اليهود الفريسيين المتعصبين على النصرانية قبل دخوله النصرانية. وبين أنه لا يعرف الكثير عن بولس إلا ما ذكره هو عن نفسه في بعض رسائله، واقتبس بعضا من ذلك. انظر: الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، ، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** (الرياض: مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣)، ص٣٣٨.

٢ نسطور هو من تنسب إليه النسطورية أو المذهب النسطوري، وقد كان بطريرك القسطنطينية سنة٤٣١، ومكث في هذا المنصب أربع سنين وشهرين، ومذهبه يحاول العودة بالمسيحية إلى التوحيد، انظر: شلبي، أحمد، **المسيحية** – مقارنة الأديان ج٢– (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط٩، ١٩٩٠)، ص١٩٢؛ أبو زهرة، **محاضرات في النصرانية**، ص١٨٦. التواريخ المعطى هنا بناء على أعمال بعض العلماء المعنيين بدراسة النصرانية توحي بعدم اليقين والجزم في الأرقام –التاريخية–، إلا أن معظمها تفيد أن ثمة لقاء بين بولس وهذه الأسماء الثلاثة؛ نسطور، يعقوب، وملكا أو ملقا. والتحقيق في هذا يستحق فتح ملف بحث وعناية جديدة؛ موضوع البحث لا يساعد على الإطالة فيه. انظر: الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص٤٦٤ فما بعد؛ The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity, pp. 85-99 onward..

٣ هو يعقوب البرادعي، الذي قام بنشر المذهب اليعقوبي، علما أنه ليس هو من أسس الفكرة، لكن نشط وقام بالدعوة =

ملكاً،[1] فقال له: إن الإله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا لهؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتي فادع الناس إلى إنجيلك، ولقد رأيت عيسى في المنام ورضي عني، وإني غداً أذبح نفسي لمرضاة عيسى، ثم دخل المذبح فذبح نفسه ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة الناس إلى قوله ومذهبه، فهذا هو سبب دخول الشرك في رسالة عيسى كما أفاد الرازي وبين أنه رأي المفسرين، ونسب القصة إلى الواحدي،[2] ومن ثم أعقب برأيه الشخصي بأن يقال: لعله ورد لفظ الابن في الإنجيل على سبيل التشريف، كما ورد لفظ الخليل في حق إبراهيم على سبيل التشريف، ثم إن القوم لأجل عداوة اليهود ولأجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد في أحد الطرفين بغلو فاسد في الطرف الثاني فبالغوا وفسروا لفظ الابن بالبنوة الحقيقية، والجهال قبلوا ذلك وفشا هذا المذهب الفاسد في أتباع عيسى عليه السلام والله أعلم بحقيقة الحال.[3] وقد مر ما يقرب من هذا الكلام –في المبحث الثالث من هذه المقالة– في محاجة مناظر الرازي بهذه الفكرة.

وإن هذا الكلام – دور بولس في تأسيس النصرانية – كما ذكره الرازي هو عين ما توصلت إليه الدراسات الحديثة، فقد أثبتت الدراسات الحديثة أن عيسى لم يؤسس تعاليم النصرانية الحالية، وإنما بولس هو من قام بهذا وحاد عن الطريق فأخرج رسالة عيسى عن مسارها الأصلي، ليلبسها ثوبًا جديدًا، يختلف تمامًا عما كان عليه، **ولا أصدق من هذا أكثر من عمل باحث غربي**، فقد قام هيم ماكبي بتأليف كتاب عن هذا: **مخترع الأسطورة: بولس واختراع المسيحية، أو صانع الأسطورة: بولس واختراع المسيحية،**

=

إليه، ويطلق على المذهب اليعقوبي اليوم اسم (الأرثودكس)، كما عرف أيضا باسم (الكنائس الشرقية). انظر: شلبي، **المسيحية** (مقارنة الأديان ج٢)، ص١٩٢؛ أبو زهرة، محمد **محاضرات في النصرانية** (القاهرة: در الفكر العربي، ط٣، ١٩٦٦)، ص١٨٨.

١ المذهب الملكاني أو الملكانية يعرف اليوم باسم (الكاثوليك)، ويؤمنون بالطبيعتين والمشيئتين، وقد اعتنقه كنيسة روما، واتخذت به قرار في مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١. انظر: شلبي، **المسيحية**، ص١٩٤.

٢ رجعت إلى تفسير الواحدي ولم أقف على هذه القصة.

٣ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج١٦، ص٢٨.

بيّن فيه دور بولس في تأسيس النصرانية وفقا لما ذكر الباحث عن الرازي.

ذكر ماكبي أن **المسيحيين يظنون أن يسوع المسيح هو الذي أسس ديانتهم**، ذلك لأن أحداث حياته هي التي أرست دعائم المسيحية، لكنهم يعتبرون أن بولس هو المفسر الحقيقي لمهمة يسوع، وقد شرح بولس الديانة بطريقة لم يقم بها عيسى نفسه. وبين أنه علينا أن نعترف أن بولس لم يعرف المسيح، وأنهما لم يلتقيا أبدًا،[١] ومن ثم صرح برأيه فذكر أن **بولس، وليس يسوع هو مؤسس المسيحية الموجودة والمعروفة في التاريخ**. وقد قام هذا الدين الذي جاء به بولس، و لم يأت به المسيح، على أساس أن كائنًا إلهيًّا مات وتعذب للتكفير عن خطايا البشر، وهي عقيدة منتشرة لدى العديد من الوثنيات الموجودة في طرسوس،[٢] المدينة التي ولد فيها بولس ونشأ وتعلم، فذكر أن **بولس استقى هذه العقيدة من المصادر الهلينستية ومن الشعوب الوثنية التي عاش في وسطها دهرًا**، وافترى هذا الدين الجديد بخلطه بتعاليم يسوع، **وقد حوله من دين توحيدي محض إلى دين يدعي التوحيد**، وفي نفس الوقت يؤمن بثلاثة آلهة في آن واحد مع التركيز على عقيدة الفداء.[٣]

نجد أن الرؤية اتضحت عند ماكبي، مما جعله يؤكد موقفه أكثر من مرة، فقد قال ما معنى نصه: "وأقر بأن بولس هو من اخترع هذه الأسطورة المسيحية"[٤]، وقد ساق أدلة أخرى كثيرة لإثبات ذلك.[٥]

---

١ Hyam Maccoby, The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity (New York: Harper & Row, 1986), p. 3.

٢ معظم من تكلم عن بولس، يبين أنه ولد في طرسوس، ومن خلال سطور قصة بولس يدرك المتتبع أن طرسوس في الشام وحواليه، ينسبه البعض إلى تركيا والبعض إلى سوريا. وكانت الحضارة اليونانية هي السائدة فيها. انظر: الأعظمي، **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند**، ص ٤٦٤؛ The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity, pp. 85-99..

٣ المصدر نفسه، ص١٦.

٤ المرجع السابق، الصفحة نفسها.

٥ انظر:

The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity, pp. 85-99.

ثم أتى المؤلف بنتيجة بحثه، وهو السبب الذي دعاه لأن يسمى الكتاب بـــ**صانع الأسطورة**، فقد ذكر كنتيجة أننا لا نستطيع أن تقبل الصور التقليدية لـــ بولس –وهي كونه لاهوتيا، وإنما المفروض دراسته على أنه صانع الأسطورة أو الخرافة– وهو يضع الأطر الفكرية واللاهوتية لتعاليم عيسى عليه السلام، لأن قبولنا بتلك الصورة التقليدية **يعني الإقرار بأن عيسى عليه السلام هو مؤسس هذه المسيحية وأن بولس كان وريثا له، وهذا غير صحيح. إن الحقيقة التاريخية التي من أجلها كتبنا هذا الكتاب تقول: إن المسيح لم يؤسس ذلك**، وعلى الرغم من أن بولس أعطى عيسى –عليه السلام– دورًا أوليًّا، فإن هذا لا يعني أنه مؤسس هذا الدين مثلما أن هاملت لم يكتب مسرح شكسبير.[1]

وهذا الكلام –دور بولس في تأسيس النصرانية– كتب فيه الكثير من البحوث والرسائل[2] يبقى القول بأن القرآن أفاد علمًا وبيانًا بعقيدة البنوة عند النصارى، وكان للإمام الرازي نتيجة تبحره في علم الكلام وفي دراسة الملل والنحل دورٌ كبير في بيان النصرانية في الخطاب القرآني بقول ما يلزم وإضافة ما يفصح عما ليس بمفهوم، فقد رأينا سعة اطلاعه وحنكته وفطانته في بيان المراد من النص القرآن ورد ما قد لا يفهم منه أو يستشكل على الناس، علاوة عن ذلك يشرح موقف ورأي النصارى كما عندهم ثم يبين رأيه في ذلك، ولعل هذا عين الموضوعية! فقد رأينا كيف يسرد أدلتهم، وكيف استمع إلى العالم النصراني حتى فرغ من بيان رأيه ثم أبدى رأيه.

---

١ The Mythmaker: Paul and the Invention of Christianity, p. 184.

٢ لا يسمح لنا البحث الخوض فيه أكثر مما سبق. أذكر مثلا بعض ما وقفت عليه من كتب ورسائل، كتاب **نصرانية عيسى ومسيحية بولس**، لمؤلفه صلاح العجماوي. **وكتاب يسوع النصراني الجني...مسيح بولس**، تأليف جمال الدين الشرقاوي. و كتاب **المسيحية دين الله الذي أنزله على المسيح أم هي ديانة بولس؟** لمؤلفه نبيل نيقولا، جورج بو خاروف سابقا. هذا ولقد ذكر شلبي قصة بولس ودوره في تخريف رسالة عيسى، ويتفق ما ذكر مع مجمل ما أورد الرازي، مع بعض التباينات لسنا بصددها، انظر: شلبي، المسيحية، ص١١٣-١١٦.

الخاتمة والنتائج والتوصيات:

الحمد لله أولًا و آخرًا، والصلة والسلام على آخر رسل الله محمد بن عبد الله، وبعد.

فقد اهتم الرازي في بيان المقصود من عقيدة بنوة المسيح عند النصارى، ووقف على بعض أدلتهم في ذلك؛ سواء الدليل التاريخي أو من نصوصهم، أو ما استدل كمحاجة له حين ناظر العالم والقس النصراني.

وإن من أهم ما وقفنا عليه في هذا البحث هو تشكيك النصارى في مصداقية ما حكى القرآن عنهم؛ ورأينا كيف أن الرازي رد عليهم.

وإن من أهم نتائج البحث ما يلي:

١- عناية القرآن الكريم بالآخر، وبيانه عقيدة البنوة عند النصارى.

٢- مساهمة فخر الدين الرازي في حسن شرح النص القرآني الدال على هذه العقيدة وروعة تنزيله النص على مظانه، وهو بهذا عالم من علماء مقارنة الأديان، له منهجه الفريد والواضح في ذلك.

٣- طعن كثير من علماء النصارى على هذا البيان، وبأنه مغالطة؛ إلا أن اهتمام القرآن الكريم بالتوحيد ومحاربة الشرك جعله يقطع الطريق عن كل ما يؤدي إليه حقيقة أو مجازًا.

٤- لقد اتسم الوصف القرآني لهذه العقيدة بعنصر الموضوعية وشفافية وإنصاف.

ونذكر من التوصيات ما يأتي:

١. ضرورة الاهتمام بعلم مقارنة الأديان، ودراسة الآخر بمنهج وصفي بياني.

٢. العناية بالمنهج القرآني وأسلوبه في البيان والحديث عن الآخر.

دراسة موقف القرآن من الملل الأخرى؛ انطلاقا من القرآن، ومحاولة تنزيل رؤية الآخر على مقولات القرآن.

٣. الاهتمام بجهود الرازي –كعالم من علماء المسلمين في مقارنة الأديان– ومنهجه في دراسة الأديان عموما، والنصرانية خصوصًا.

المصادر والمراجع

- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك. (١٩٥٥). **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وآخرون. القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.
- أبو زهرة، محمد. (١٩٦٦). **محاضرات في النصرانية** (الطبعة الثالثة). القاهرة: دار الفكر العربي.
- الأعظمي، محمد ضياء الرحمن. (٢٠٠٣). **دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند** (الطبعة الثانية).
- البوطي، محمد سعيد رمضان. (١٩٩١). **فقه السيرة النبوية** (الطبعة الثالثة). دمشق: دار الفكر.
- الرازي، محمد فخر الدين. (١٩٨٦). **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين** .(الطبعة الأولى). ضبط وتقديم وتعليق محمد المعتصم بالله البغدادي. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الرازي، محمد فخر الدين. (١٩٨١). **مفاتيح الغيب** (الطبعة الأولى). بيروت: دار الفكر.
- الرازي، محمد فخر الدين. (١٩٨٦). **مناظرة في الرد على النصارى**. تحقيق عبد المجيد النجار. بيروت: دار العرب الإسلامي.
- شلبي، أحمد. (١٩٩٠). **المسيحية** (الطبعة التاسعة). القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- العودات: حسين. (١٩٩٩). **العرب النصارى** (الطبعة الأولى). دمشق: الأهالي للطباعة والنشر.

المصادر الإنكليزية

- Maccpby ،Hyam (1986). The mythmaker: Paul and the Invention of Christianity. New York: Harper & Row.
- McGrath, Alister E. (1997). An Introduction to Christianity, Cambridge, Blackwell .
- Parrinder ،Geoffrey. (1965). Jesus in the Qur'an. London: Western Printing Services Limited Bristol ،first published.
- Robinson ،Neal. (1991). Christ in Islam and Christianity. New York: State University of New York.
- Zwemer ،Samuel. (1912). The Moslem Christ. London: Morrison and Gibb LTD.